الشرق الأوسط
جريدة العرب الدولية
السبت 10 ذو الحجة 1422 هـ 23 فبراير 2002 العدد 8488

إطار موضوعي.. لفهم فكرة الأمير عبد الله

زين العابدين الركابي

مقالات سابقة للكاتب
إبحث في مقالات الكتاب

(الانسحاب الكامل.. مقابل التطبيع الكامل).. هذه هي الفكرة الرئيسية في الكلام الجديد لولي العهد السعودي، الامير عبد الله بن عبد العزيز، في ما يتعلق بالصراع العربي ـ الاسرائيلي. فكيف يكون التعليق على فكرة باغتت الناس بما يتصورون انه امر غير مألوف؟

ان الامر جد معقد، ولا يصلح في التعامل معه: لا الخفة، ولا النظرة السطحية، ولا المدح المنافق، ولا الذم الحاقد، ولا نزعات الميل المَرَضي الى السلام الوهمي، ولا نزعات الميل الخيالي الى حرب غير مقدور عليها، ولا نزق تجميد الاوضاع على ما هي عليه حتى يزداد الفلسطينيون: بؤسا، وحرمانا، واذلالا، وموتا.

الامر معقد، ولعل ما يحل عقدته، نصب مقياس الحركة السياسية العملية. وهذا المقياس هو: المصلحة المعتبرة، اي مصلحة الامة: حالا ومآلا.

وبإعمال هذا المقياس، ينشأ السؤال الاتي: هل في فكرة الانسحاب الكامل، مقابل التطبيع الكامل، مصلحة؟

قد يسهل الجواب، بالنظر الى الحقائق والوقائع والظروف التالية:

1 ـ ليس في الأفق ما يشير الى ان العرب عازمون على حرب اسرائيل، اذ ليس لهم قدرة على ذلك ـ بسبب الخلاف والاسترخاء العام، وغير ذلك من الاسباب ـ ثم ان (ارادة الحرب) ـ وهي المقوم الاول للحرب ـ غائبة، ولا سيما ان اكبر دولة عربية ـ ذات الثقل العسكري الكبير ـ لا تستطيع ان تحارب بموجب اتفاقات كامب ديفيد.

2 ـ ان الصراع العربي ـ الاسرائيلي ـ وهو صراع كبير وطويل ـ لا يزال يصغّر حتى حصر في (جزء) من الارض الفلسطينية التي احتلت عام 1967، بل حتى حصر في الانسحاب من قطعة صغيرة، اي من جزء الجزء الذي بسطت السلطة الفلسطينية سلطانها عليه بمقتضى اتفاق اوسلو، فأقدمت اسرائيل على اعادة احتلاله، بل حصر الصراع او القضية في شخص ياسر عرفات: هل يظل زعيما او يرحل! 3 ـ ان احداث 11 سبتمبر من العام الماضي، اوشكت ان تجعل القضية الفلسطينية وكأنها نقيق ضفادع، ابعده عن الاذن ضجيج طائرة، بمعنى ان هذه الاحداث كادت تلغي الاهتمام الدولي بالصراع العربي ـ الاسرائيلي، سواء كان الالغاء او الاضعاف نتيجة لضخامة الزلزال الامريكي الصاعق، او كان استراتيجية سياسية واعلامية متعمدة رسمها الذين يريدون اضعاف الاهتمام الدولي بالصراع العربي ـ الاسرائيلي.

4 ـ ان سياسة (الدكاكين)، والسراديب المعتمة، والتجزئة الاستراتيجية، لم توصل الى حل صحيح، وانما زادت الاوضاع كربا وبلاء، مثلا: ان كارثة اوسلو ـ وما ترتب عليها من زيادة في حدة الصراع ـ قد اقر بضغطها الأليم اكابر اليهود (المجتهدون) في انقاذ اسرائيل بـ (السلام).. فمن المعروف ان (شمعون بيريز) هو مهندس اتفاق اوسلو ومبرمه. ولقد مارس ضغوطا رهيبة على المفاوض الفلسطيني، كما اعترف هو بذلك في كتابه (الشرق الأوسط الجديد).. هذا الرجل نفسه، اعترف منذ يومين بالورطة او الكارثة، وبمرارتها وخيبتها، فقال: «لقد اخطأتُ بعدم اعطاء الفلسطينيين استقلالهم فورا في عملية المفاوضات الاسرائيلية الفلسطينية في اوسلو».

5 ـ انظمة عربية عديدة ظلت تتاجر بالقضية الفلسطينية، ولم يكد صوت هذه الانظمة يخفت حتى ظهر متاجرون جدد وهم نفر من المسلمين احترفوا الارهاب وتباهوا بممارسته، اخذوا يتاجرون بالقضية الفلسطينية فخدموا بذلك الصهيونية، ولم يخدموا القضية الفلسطينية، لأن حشر انفسهم في هذه القضية العادلة، زود المؤسسة الصهيونية بما مكنها من ترويج اجندتها على نطاق عالمي: الاجندة التي تقول: إن ما يفعله الفلسطينيون ضد اسرائيل (تقصد المقاومة) هو نسخة طبق الاصل مما وقع في نيويورك وواشنطن في سبتمبر 2001.

6 ـ ضرب مقولة: إن المسلمين والعرب يعادون الآخرين لمجرد انهم مخالفون في الدين، وهي مقولة انتشرت انتشارا واسعا، في اعقاب العدوان الارهابي الشهير على الولايات المتحدة.. وحقيقة الامر: ان العرب والمسلمين انما يعادون من يظلمهم، ويحتل ارضهم، ويعبث بمقدساتهم، ويشرد فريقا منهم من ديارهم. فإذا زال الظلم والاحتلال، فاء المسلمون الى السلام، بحسب العدل الذي تحقق.

فالفكرة ـ إذن ـ بديل لحرب غير مرادة وغير مقدور عليها.. واعادة لوضع الصراع في مكانه وحجمه الحقيقيين دون تصغير او اختزال.. وتجديد الوعي والاحساس بالقضية الفلسطينية بعد ان اوشك ضجيج احداث سبتمبر ان يصرف الاهتمام عنها.. ورسم اطار شامل للتسوية الممكنة بعد ان خابت سياسات الدكاكين والتبعيض والاستدراج الى التيه.. وكف المتاجرين الجدد عن المتاجرة بالقضية الفلسطينية.. وإبطال مقولة ان العرب والمسلمين يعادون الآخرين ويناهضونهم لمجرد انهم مخالفون في الدين.

بيد ان الفكرة قد تفهم على غير مراد صاحبها، من قبل الجاهلين الذين يقرأون السطور العربية من الشمال، ومن قبل المشبعين باللؤم السياسي من الأقربين والابعدين. ولذا يتعين: التوسع في التحليل الموضوعي، وفي التفسير السياسي الصحيح للفكرة، وعلى نحو يصحح كل مفهوم خاطئ، ويدرأ كل تشويه جاهل، ويجردها من كل استغلال سياسي واعلامي مغرض.

يعين على ذلك: ان في الفكرة ذاتها من المضامين والحصانات والضوابط ما يصونها من الفهم الجاهل، ومن التشويش والاستغلال:

أ ـ فالفكرة ليست ترخيصا بفوضى التفريط في القضية، ولا هي تأصيل بَعْدي لهرولة الذين فقدوا الاحساس بالكرامة، واحترام الذات، واحترام حقوق الآخرين.

والدليل الحاسم على انها ليست كذلك هو: انها انتظمت مفهوما قاطع الدلالة القانونية والسياسية والجغرافية. وهذا المفهوم القاطع الدلالة هو: الانسحاب التام من الارض المحتلة: الانسحاب التام من الضفة كلها.. والانسحاب التام من قطاع غزة كله.. والانسحاب التام من القدس العربية كلها.. والانسحاب التام من الجولان كله.. والانسحاب التام مما بقي من ارض لبنان تحت الاحتلال.. وهذا نهج نقيض وناسخ لطريقة المتهافتين.

ب ـ من اصول الفكرة: وجود المناخ الصحي المواتي للسلام، ذلك ان السلام ليس اجراءات تفاوض، ولا صياغة بنود معينة فحسب.. انه قبل ذلك دلائل قوية جدا على ارادة السلام، وعلى الرغبة الحقيقية المستمرة فيه. ومن اول هذه الدلائل: الكف عن غطرسة القوة، وعن ارهاب الدولة، وعن سياسة الاذلال والتحطيم والترويع وفرض الامر الواقع. ففي ظل هذه المعوقات لا يمكن ان يحصل سلام صحيح ومكين وموثوق. وهذا ما قصده الامير عبد الله بقوله: «لكنني غيرت رأيي ولم اطرحه (خطاب السلام) عندما اقدم رئيس الحكومة الاسرائيلية اارييل شارون على مستويات من العنف والقمع لم يسبق لها مثيل).. وصدق الامير عبد الله. ذلك ان شارون بسياساته البطشية الارهابية يصنع مناخ الحرب، لا مناخ السلام، فهو رجل لا يملك الشجاعة الكافية للاقدام على ابرام سلام عادل وعميق وطويل المدى، وهو ـ من ثم ـ عائق في طريق السلام، إلا ان يتبدل حاله ـ تحت الضغوط السياسية والعسكرية التي اخذت تظهر ضده بين قومه ـ او يأتي من هو اشفق منه على بني اسرائيل، بمعنى ان يأتي من ينقذ اليهود من دوامة الضرب والحرب التي سيهلك فيها اليهود انفسهم: غدا او بعد غد.

ولعلنا لا نفتئت على حق الامير عبد الله بن عبد العزيز ـ ونحن نحاول فهم ابعاد فكرته ـ حين نقول: ان من المناخ العام للسلام ايضا: الامتناع عن الهجوم على الاسلام. فمن المقطوع به: انه ليس من مناخ السلام ودواعيه: ان يستمر الطعن في اعظم ما يعتز به العرب والمسلمون وهو: الدين الاسلامي: عقيدة وشريعة.. يضم الى ذلك: ان اليهود يحيون في وسط اسلامي، ولن يستطيع هذا الوسط ان يعايشهم معايشة طبيعية وهو يعلم ان للصهيونية دورا كبيرا ومستمرا في الحرب الفكرية الظالمة على الاسلام والمسلمين، فالمقاتلة في الدين قد تكون فكرية، ونحن منهيون عن بر من يقاتلنا في الدين.

مشاركة >> <
Tweet
طباعة بريد